الحجاج البلاغي في سورة النور

د. دُرَّة سليمان العودة

قسم اللغة العربية– كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية

جامعة القصيم

الحجاج البلاغي في سورة النور

د. دُرَّة سليمان العودة

قسم اللغة العربية– كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم

تاريخ تقديم البحث: ١٥/ ٣/ ١٤٤٤ هـ تاريخ قبول البحث: ١٩/ ٥/ ١٤٤٤ هـ

ملخص الدراسة:

أهداف البحث: الكشف عن الدلالات الحجاجية في سورة النور في البعد المعجمي والتركيبي والتصويري.

منهج البحث: المنهج التحليلي القائم على بيان الأبعاد الحجاجية والدلالات الإقناعية.

أهم النتائج: – تكرر في سورة النور وصف محمد ﷺ بصفة الرسالة (رسول) دون ذكر اسمه (محمد) والسر في ذلك –والله أعلم– أن صفة (الرسول) تضفي بعدًا حجاجيًّا؛ إذ نهض في سياقات الأمر والنهي بدور ضمني تمثل بوجوب طاعته ﷺ والنهي عن مخالفته، في حين أن اسم (محمد) لا يتضمن هذا المعنى الضمني.

–إن أبلغ الحجج ما أسهم المخاطب في صنعها، وهذا ما ظهر في البنية التركيبية للاستفهام في سورة النور.

– كان لثنائية النور والظلام في سورة النور حضور في الجانب التصويري، وربما يعود السر في ذلك –والله أعلم– إلى كون الظلمة والنور ذواتي أبعاد دلالية مرتكزة في ذهن المخاطب.

التوصيات: العناية بالنص القرآني وفق الدرس الحجاجي؛ لكونه خطابًا حجاجيًّا قائمًا على الحوار والإقناع بعيدًا عن الإكراه والإجبار والقسر.

الكلمات المفتاحية: سورة النور، بلاغة، الحجاج، المعجم، التركيب، الصورة.

Rhetoric Argument at Surat An-Noor

Dr. Dorah Sliman Hamad ALodah
Department Arabic language – Faculty Arabic Language and Social Studies
Qassim university

Abstract:

Objectives of research: Detection the argument significances at Surat An-Noor at the dictionary, structure and view structures

Research approach: The analytical approach based to indication the argumenta dimensions and satisfactory significances

Important Results:

The description of Prophet Mohammed was repeated as a (messenger) without mentioning his name (Mohammed) because the feature of (messenger) is characterized by an argument dimensions, whereas mentioned at the context, while the name (Mohammed) does not include this implicit meaning.

-The most eloquent arguments were contributed to issue them, and appeared in the synthetic structure of the interrogative in Surat An-Noor

-The duality of light and darkness in Surat An-Noor had an availability in the pictorial aspect, and regarding the fact that darkness and light are semantic dimensions

Recommendations: Paying attention to the Qur'anic text according to the argumentative lesson, because it is an argumentative discourse based on dialogue and persuasion, far from coercion, compulsion, and force.

key words: Surat An-Noor, rhetoric, argument, dictionary, composition, image.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا وسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد:

فقد تميزت خطابات القرآن بأساليب متفنِّنة في ضروب الهداية ودروب الإقناع رغم اختلاف متلقيه وتنوعهم وتباين مقاصدهم، فلقد كان للقرآن منهج بديع في الحِجَاج في إبطال الشبه وتقرير الحُجَج الصحيحة، وهو ما أشار إليه ابن القيم (ت ٧٥١هـ) حين قال: "إذا تأملت القرآن وتدبرته وأعرته فكرًا وافيًا اطلعت فيه من أسرار المناظرات وتقرير الحُجَج الصحيحة وإبطال الشبه الفاسدة وذكر النقض والفرق والمعارضة والمنع على ما يشفي ويكفي لمن بصره الله وأنعم عليه بفهم كتابه"(١).

ولقد تضمنت سورة النور أحداثًا متعددة من افتراء ومراوغة وكبر وعناد جاء القرآن ناقضًا لها بأساليب حِجَاجِيَّة مقنعة للمخاطب.

ومن هذا المنطلق سيجيب هذا البحث عن تساؤل يتمثل في الآتي:

– ما وسائل الإقناع وأساليب الحجاج التي تضمنتها سورة النور على مستوى الكلمة والتركيب والصورة؟

وتسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على وسائل الإقناع وتقنيات الحجاج التي أقنعت المخاطب، سواء في مستوى الكلمة أو التركيب أو الصورة؛ اعتمادًا على المنهج التحليلي؛ إذ سأحلل الآيات وأبرز أهم سماتها الحجاجية ودلالاتها الإقناعية.

---

(١) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ٤/١٣٠.

وإن كانت المكتبة البلاغية عنيت بدراسة بلاغة الحجاج لكنني لم أعثر على دراسة واحدة تناولت بلاغة الحجاج في سورة النور، ونذكر من تلك الدراسات:

*** دراسات عنيت بدرس الحجاج على وجه العموم دون التركيز على سورة النور، ومن أبرزها:**

– كتابا د. عبد الله صولة (ت ١٤٣٠هـ) وهما كتابان ثريان، الأول: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، دار الفارابي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٧م، غير أن هذا الكتاب كانت مدونته القرآن كاملًا؛ إذ اختار آيات وبين حِجَاجها على مستوى المعجم والتركيب والصورة.

والثاني: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، د. عبد الله صولة (ت ١٤٣٠هـ)، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط١، تونس، ٢٠١١م، وإن كان هذا الكتاب ركز على بلاغة الحجاج لكنه اكتفى بدراسة الجانب الحجاجي لبعض آيات سورتي الأنعام والجمعة.

*** دراسات اهتمت بسورة النور من ناحية بلاغية أسلوبية وهي كثيرة، نذكر منها:**

– النظم القرآني في سورة النور، للباحثة: عائشة الملاح، وهي رسالة علمية قدمتها الباحثة للحصول على درجة الماجستير من الجامعة الأردنية ٢٠٠٤م، غير أن أطروحتها لم تركز على الجانب الحجاجي، وإنما تناولت بلاغة آيات سورة النور في المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.

– سورة النور رؤية بيانية، د. وفاء فيصل إسكندر محمد، وهو بحث علمي محكم منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، كلية التربية، جامعة

الموصل، ع ١، مج ٩، ٢٠٠٩م، وقد ركز الباحث على الجانب التصويري في سورة النور.

– التناسب في سورة النور دراسة أسلوبية، للباحثة: ضياء الحنايا، وهي رسالة علمية قدمتها الباحثة للحصول على درجة الماجستير من جامعة القصيم ٢٠١٦م، غير أن أطروحتها ذات صبغة أسلوبية؛ إذ عنيت الباحثة ببيان دور الألفاظ والجملة والجمل في التناسب النصي في سورة النور من خلال مفهوم الاختيار والانزياح.

لكن كل هذه الدراسات لم تعن بالحجاج البلاغي في سورة النور على وجه الخصوص، في حين أن هذه الدراسة ستركز عليه، وتكشف حجاجية معجم سورة النور وتراكيبه وصوره.

وقد استقر هذا البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث ثم خاتمة توضح أهم النتائج، يليها قائمة المصادر والمراجع وفق الآتي:

– التمهيد:

–بين يدي السورة.

– مفاهيم الحجاج.

– المبحث الأول: البعد الحجاجي في مستوى المعجم.

– المبحث الثاني: البعد الحجاجي في مستوى التركيب.

– المبحث الثالث: البعد الحجاجي في مستوى الصورة.

وفي النهاية أسأل الله العلي العظيم أن يتقبل هذا العمل، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد:

أولا: بين يدي السورة

١/ ترتيبها ومقاصدها:

جاءت في ترتيب المصحف تالية لسورة المؤمنون، سابقة لسورة الفرقان، وقد بينت السورة الكثير من الحدود الإسلامية، وعالجت الكثير من القضايا الاجتماعية بهدف تنظيم المجتمع الإسلامي وتربيته تربية صحيحة وفق العقيدة الإسلامية الصحيحة "والقيم المنبعثة عن إيمان المؤمن بالله... وقد ذكر النور في السورة بلفظه كما ذكر بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح ممثلة هذه الآثار في بيان الفرائض والأحكام التي يقوم عليها بناء السورة، وهي أحكام وآداب نفسية وعائلية وجماعية تؤدي إلى طهارة الفرد وسلامة المجتمع"(١).

٢/ تسمية السورة:

سميت هذه السورة بسورة النور، وقد وجِّه سبب هذه التسمية إلى عدة وجوه، منها:

* لكثرة ذكر النور إما بطريق التصريح نحو ما جاء في قوله:

- ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾(٢).

- ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾(٣).

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، عبدالله شحاته، ص ٢٥٥.

(٢) سورة النور: ٣٥.

(٣) سورة النور: ٣٥.

- ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[1].

وإما بطريق الضمني وهو ما تتضمنه كثير من آيات سورة النور؛ لأن كل حدّ بينته السورة أو أدب ذكرته يوحي بمعنى النور والهداية لمن اهتدى به وعمل بموجبه، ومعنى الظلمة والفسوق لمن خالفه ولم يعمل بمقتضاه.

* "لاشتمالها على ما أمكن من بيان النور الإلهيّ... وهي أعظم مقاصد القرآن"[2]؛ لأن هذا النور أعظم نور لا يضاهيه ولا يقابله ولا يشابهه أي نور آخر.

* لبيانها الآداب الاجتماعية والأحكام الشرعية التي هي إشعاعات النور الرباني، وبها تضيء حياة المسلم وتستريح الأرواح والقلوب والأجساد، فيعيش في حياة اجتماعية هانئة؛ لأن حياة الإنسان "حياتان: حياة البدن بالروح، وحياة الروح والقلب بالنور، ومن لم يجعل له نورا منه فهو في الظلمات ما له من نور"[3].

- لأن العمل بمحتواها من أحكام وآداب يورث نورا في الدنيا والآخرة؛ ولذا فالنور "مادة كل خير وصلاح... وهو ينشأ عن امتثال أمر الله واجتناب نهيه، وعن الصبر على ذلك... فإن حفظ الحدود بتقوى الله يجعل لصاحبه نورا... ولهذا عقَّب ذكر النور وأعمال المؤمنين بأعمال الكفار وأهل البدع

---

(١) سورة النور: ٤٠.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي، ٧/ ٣٠٧.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، ١/ ١٢٢.

والضلال، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ﴾[1] إلى قوله: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ﴾[2]"[3] لتقرير انتفاء نورهم، وتأكيد وقوعهم في الظلمة والمهلكة.

– كونها جاءت كاشفة عن النور مجلية للظلام وذلك بتنزيه عائشة – رضي الله عنها– (ت ٥٨هـ) مما رميت به في حادثة الإفك؛ لذا "أضاءت للمسلمين ظلام الليل الكثيف، وفضحت المشركين والمفترين، لهذا أو ذاك، أو لهما معا؛ استحقت السورة أن تحمل هذا الاسم، وأن تكون نورا على نور"[4].

ثانيا: مفاهيم الحجاج

١/مفهوم الحِجاج لغة واصطلاحًا عند العرب:

جاء في أساس البلاغة أن مادة (حَ جَ جَ) تعني المخاصمة والمغالبة قصد الظفر، فيقال: "احْتَجَّ على خصمه بِحُجَّة شهباء، وبِحُجَج شهب، وحَاج خصمه فحَجَّه"[5]، أما في لسان العرب فجاء معنى الحِجَاج مرادفًا للجَدَل "فيقال: حَاجَجْتُه أُحَاجُّه حِجَاجًا ومُحَاجَة حتى حَجَجْتُه؛ أي غلبته بالحُجَج

(١) سورة النور: ٣٩.

(٢) سورة النور: ٤٠

(٣) محاسن التأويل، القاسمي، ٧/ ٣٠٨.

(٤) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ٩/ ١٢٠٠.

(٥) أساس البلاغة، الزمخشري، ١٦٩/١، مادة (ح ج ج)

التي أدليت بها... والحُجَّة: البرهان، وقيل: الحُجَّة ما دُفع به الخصم... وهو رجل مِحْجَاج؛ أي جَدِل"(١).

وهذه العلاقة المترادفة بين الجَدَل والحِجَاج كثر ورودها في مؤلفات العلماء القدماء، كما رأينا عند **ابن النقيب** (ت ٦٩٨هـ) في حديثه عن الحِجَاج حين قال: "وبعض أهل الشأن يسميه المذهب الكلامي، وهو أن يذكر المتكلم معنى يستدل عليه بضرب من المعقول. . . وقيل: إن الاحْتِجَاج أن يخرج الكلام على طريقة الجَدَل"(٢)، بل إن **ابن أبي الإصبع** (ت ٦٥٤هـ) عدَّ المذهب الكلامي احْتِجَاجًا، ويراه من بلاغة القرآن حين قال: "المذهب الكلامي عبارة عن احْتِجَاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه؛ لأنه مأخوذ من عِلْم الكلام الذي هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية"(٣).

وهذا الربط بين الاستراتيجيتين يؤكد أن مفهوم الحجاج لم يكن غائبا في دراسات القدامى السابقين، بل له جذور في إنتاجهم الأدبي وخطابهم "العلمي البلاغي على نحو ما نرى في دفاع عبد القاهر الجرجاني عن إعجاز القرآن بإقناع الناس بفكرة النَّظْم، مما طبع دلائله بطبيعة حجاجية واضحة"(٤).

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٢٢٨/٢، مادة (ح ج ج)

(٢) مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، ابن النقيب، والمطبوع خطأ بعنوان: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لابن قيم الجوزية، ص ٢٨٥.

(٣) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، ص ١١٩.

(٤) النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، محمد السيد العبد، مجلة فصول، ص ٤٥.

ومن تلك الإسهامات في الدراسات العربية القديمة:

- حجاج الجاحظ (ت ٢٥٥هـ):

عني الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) بتوظيف تقنيات الحجاج التي تؤدي إلى إقناع السامع، من ذلك نقله عن عمرو بن عبيد (ت ١٤٣هـ) حين قال: "إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المُكلَّفِين، وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ المُستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة، كنت قد أُوتيت فصل الخطاب"(١).

- حجاج أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ):

لم يُغفل العسكري (ت ٣٩٥هـ) الحجاج، وتناوله تحت عنوان: "الاستشهاد والاحتجاج" بوصف الاستشهاد وسيلة لإقامة الحجة والتأثير في المتلقي، ويكمن ذلك في وجود معنى أول ثم يُتبع بمعنى ثان يكون بمنزلة الحجة للاستشهاد به على صحة المعنى الأول، يقول في ذلك: "كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته"(٢).

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، ١/ ١١٢- ١١٣.

(٢) الصناعتين، العسكري، ص ٤١٦.

– حجاج عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ):

كان للجرجاني (ت ٤٧١هـ) إلماحات حجاجية في حديثه عن النظم حين قال: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"(١)؛ إذ جعل قيمة النظم "تكمن في أنها لفتت الانتباه إلى نحو النص بمعنى منطقه اللغوي الداخلي الذي من دونه لا يمكن للخطاب أن يؤدي وظائفه الحجاجية والإقناعية"(٢) من خلال النظر في مقام النص الداخلي وقدرته في إقناع المخاطب وحجاجه.

– حجاج السكاكي (ت ٦٢٦هـ):

عني السكاكي (ت ٦٢٦هـ) بمفهوم الاستدلال وربطه بالدرس البلاغي حين قال: "ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال لم أر بدًّا من التسمح بهما"(٣)، وكان غرضه "بناء بلاغة الخطاب على نظام استدلالي وليس على المنزع البديعي، بحيث يصبح البيان مُؤسسًا على نظام العقل، مما يجعل البلاغة معرفة واستدلالًا"(٤).

ولذا فلا غرابة أن تكون صور السكاكي (ت ٦٢٦هـ) البيانية ذات صبغة استدلالية تُعنى بالدليل، يقول في ذلك: "إذا شبهت قائلًا: خدها وردة تصنع

---

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، ص٨١.

(٢) بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، د. حسن المودن، ص ٢١٩.

(٣) مفتاح العلوم، السكاكي، ص٦.

(٤) بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، ص ٧٥– ٧٦.

شيئًا سوى أن تلزم الخد ما تعرفه يستلزم الحمرة الصافية، فيتوصل بذلك على وصف الخد بها[١]، فالصورة هنا كانت "قياسًا منطقيًّا حذف منه الحد الأوسط والنتيجة، فالمثال المذكور (خدها وردة) قياس ترك للسامع أن يبني حده الأوسط (الوردة حمراء) ثم نتيجته (خدها أحمر)"[٢].

- حجاج حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ):

كان للقرطاجني (ت ٦٨٤هـ) عناية واضحة بالأقاويل الحجاجية ودورها في استمالة السامع وإقناعه إن برع المتكلم في إيراد الحجة والاستدلال عليها، حين قال: "كل كلام يحتمل الصدق والكذب إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال، وكان اعتماد الصناعة الخطابية في أقاويلها على تقوية الظن لا على إيقاع اليقين"[٣].

يلحظ من خلال الطرح السابق أن العلماء السابقين عرضوا لمباحث الحِجَاج تحت أسماء مختلفة وبصورة موجزة، ولم يجمعوا مسائله تحت اسم واحد، بل تارة يشار إليه في باب المذهب الكلامي[٤]، وتارة في باب الاستدراج[٥] وتارة في باب الاستدلال[٦]، وغيرها من الأبواب؛ لأن الاهتمام ببلاغة الحِجَاج

(١) مفتاح العلوم، السكاكي، ص ٥٠٥.

(٢) بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، د. عبد العالي قادا، ص١٤٨.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني، ص ٦٢.

(٤) انظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، ص ١١٩.

(٥) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ٦٤/٢.

(٦) انظر: الصناعتين، العسكري، ص ٤١٦، ومفتاح العلوم، السكاكي، ص٤٣٨- ٤٣٩.

جاء في مرتبة ثانوية متأخرة لا أساسية كما هي العناية ببلاغة الأسلوب والوقوف على وجوه الكلام وصوره التعبيرية الأسلوبية.

وهذا يعني أن مفهوم الحجاج كان حاضرا مع غياب المصطلح؛ إذ "لم يحددوا له مصطلحًا واحدًا يعرف به كما حددوا مصطلحات البلاغة الأخرى كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها من المباحث القارة في كتب البلاغة"(١)، وغياب المصطلح "دليل على عدم وضوح الرؤية عندهم بالنسبة للحجاج بوصفه إستراتيجية تشتغل في الخطابات عبر وسائل وأساليب قائمة فيه؛ توجه ملفوظه نحو الغايات والمقاصد التي يروم تحقيقها"(٢).

ولذا فإن دراساتهم بصورة عامة فصلت "بين بلاغة الحِجَاج وبلاغة النظم أو الأسلوب، فهي إما أن تدرس الأسلوب أو النظم بمعزل عن بعده الحِجَاجي، أو أنها تدرس الحِجَاج أو (الجَدَل أو المذهب الكلامي) بمعزل عن فكرة النظم أو الأسلوب"(٣)، بل "انصب اهتمام البلاغيين على وجوه البيان بوصفها سرًّا من أسرار الخطاب، لا بوصفها وسائل تأثير في المتلقي وإقناعه"(٤).

غير أن د. عبد الله صولة (ت ١٤٣٠هـ) أكد ضرورة الربط بين الحِجَاج والأسلوب حين قال: "أرى أن تتبع مواضع الجَدَل في القرآن من غير التفات

---

(١) الحجاج عند البلاغيين العرب، علي محمد علي سليمان، مقال ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، ٢٥٧/١.

(٢) المرجع السابق، ٢٥٧/١.

(٣) الحِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ٥٦.

(٤) الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة، مجموعة من الباحثين إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، ص ١١.

إلى نواحي البلاغة وخصائصها في التعبير القرآني هو ابتعاد عن المنهج القويم؛ ابتعادًا لما فيه من قطع الصلة بين متلازمات في الدلالة المعنوية والأسلوبية، أو لما فيه من تفكيك بين عناصر متكاملة في إبراز المواقف الحِجَاجِيَّة"[١]، وقد سبق لهذه الدعوة ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) في حديثه عن (الاستدراج) حين قال: "هو مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال؛ والكلام فيه وإن تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، وإذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه؛ لأنه [لا][٢] انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها"[٣].

فنظرية ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) هذه على أهميتها تظل "في حاجة إلى كثير من الجهد والأناة ليبرهن على مدى انطباقها من الناحية العملية على الكلام القرآني كله لا على آية واحدة منه أو آيتين كما فعل ابن الأثير"[٤].

وقد اشتغل بالحِجَاج ثلة من الدارسين المعاصرين العرب، ومنهم على سبيل الذكر لا الحصر طـه عبد الرحمن في كتابه: (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) وعرف الحِجَاج بأنه: "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى

(١) مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم، الهادي حمو، ص ١٩٣.

(٢) ما بين المعقوفتين مزيد من الباحثة؛ لأن المعنى يبدو ناقصًا.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ٦٤/٢.

(٤) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص٥٨.

مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[١]، غير أن تعريفه للحِجَاج هنا جاء مركزًا على الدلالة اللغوية وهي الغلبة في الحُجَّة، وهو بذلك لم يبتعد كثيرًا عن تصور القدامى للحِجَاج.

٢ / الحِجَاج في البلاغة الأرسطية وعند اللسانيين الغربيين:

تعد الفلسفة الأرسطية عمادًا لكثير من النظريات البلاغية واللغوية؛ ولذا لم يغفل أرسطو (ت ٣٢٢ ق.م) الحديث عن الجَدَل وما يتصل به من أقوال حِجَاجِيَّة؛ إذ تناول الجَدَل وعلاقته المتلازمة بالخطابة، وأرجع الخطابة إلى الجَدَل، وعدَّ الغاية من كليهما الإقناع[٢].

ولقد أثمر النظر في البلاغة اليونانية القديمة قراءة جديدة للحِجَاج في البلاغة المعاصرة على يد (برِلمان perleman) و(تيتيكا Tyteca) و(أوسكمبر Anscombre) و(ديكرو Ducrot) و(مايرMeyer).

– الحجاج عند (برِلمان perleman) و(تيتيكا Tyteca):

يعد كتاب (مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة) لبيرِلمان وتيتيكا "أهم محاولة لتجديد النظرية الحجاجية الأرسطية"[٣]، وقد سمّياه بـ(La nouvelle Rhetorique) وترجمه عبد الله صولة (ت ١٤٣٠هـ) بـ "الخطابة الجديدة"[٤].

---

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، ص ٢٢٦.

(٢) انظر: الخطابة، أرسطو ، ص ٣.

(٣) مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، د. محمد الولي، ص ٣٣.

(٤) انظر: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، د. عبد الله صولة، ص ١١.

وقد بين المؤلفان (برِلمان perleman) و(تيتيكا Tyteca) موضوع الحجاج بقولهما: "موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"(١)، كما أنهما أكدا توسيع بلاغتهما لتكون شاملة لكل مجالات الحياة من خلال: "توسيع البلاغة إلى الحدود البعيدة، وذلك عبر دمج الجدل والإنسانيات عامة والتحاور اليومي العملي، في هذا النموذج الموحد الذي دعاه البلاغة الجديدة"(٢).

وعلى هذا فإن إسهامات (برِلمان perleman) في إحياء البلاغة إسهامات مثمرة، وإليه "يرجع الفضل في إعادة الاعتبار للبلاغة، وذلك بتصحيحه المنظور الذي كان يرى فيها مجرد زخرفة وتحسين"(٣) إلى تصور يجعل البلاغة "علمًا مستقبليًّا هدفه –أو على الأصح أهدافه– تطوير المجتمع وتحليل مختلف الخطابات"(٤).

وإن كان الفضل يعود إلى (برِلمان perleman) و(تيتيكا Tyteca) في بعث البلاغة من جديد، لكن "مفهوم الحجاج لن يبقى في

---

(١) Perelman et Tyteca, Traite de Largumentation, op. cit., P 5. نقلًا عن: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ٢٧.

(٢) مدخل إلى الحجاج.. أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، د. محمد الولي، ص ٣٥.

(٣) نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، د. الحسين بنو هاشم، ص ٢٧.

(٤) الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، د. محمد الطلبة، ص ١٠٢.

هذا المستوى، بل سوف يتعمق أكثر بتعمق الدرس اللساني في قضايا الاقتضاء مع ديكرو خاصة، على أساس أن المقتضى هو جوهر العملية الحجاجية"[١].

- الحجاج عند (أوسكمبر Anscombre) و(ديكرو Ducrot):

أسس العالمان (أوسكمبر Anscombre) و(ديكرو Ducrot) من خلال كتابهما (الحجاج في اللغة) نظرية حجاجية لغوية "تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية"[٢]؛ لكشف القدرة الحجاجية للأبنية التركيبية في اللغة؛ على أن الحجاج "كامن من حيث بنيته في اللغة ذاتها كما يدل على ذلك عنوان كتابهما، لا في ما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بنى شبه منطقية أو شكلية أو رياضية كما هو الشأن عند بيرلمان وتيتيكا"[٣].

وارتكاز حجاج ديكرو وأنسكومبر على البنية الداخلية للغة لا على السياقات الخارجية جاء منبثقًا من "نظرية أفعال الكلام كما عند سورل وأوستين وغرايس، وأضاف ديكرو فعلين: فعل الاقتضاء، وفعل الحجاج"[٤]، ففعل الاقتضاء أو المضمر "يعتبر عنصرًا غائبًا له وجود وكأن النطق قد قام

---

(١) الحجاج في المناظرة مقاربة حجاجية لمناظرة أبي سعيد السيرافي لمتى بن يونس، أحمد إتركنرمنت، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ٢/٢٨٢.

(٢) بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، د. عبد العالي قادا، ص١٧٧.

(٣) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص٣٣.

(٤) من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، د. جميل حمداوي، ص ٣٦.

بنطقه"[١]، أما فعل الحجاج فهو "يفرض على المخاطب نمطًا معينًا من النتائج بوصفه الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار"[٢].

ولذا فاللغة حسب نظريتهما "تحمل بعدًا حجاجيًّا في جميع مستوياتها... ومسرح لظهور المقتضى باعتباره شكلًا من أهم الأشكال الحجاجية الكامنة فيها"[٣].

وهكذا فقد جعل العالمان درس الحجاج منغرسًا في بنية اللغة ذاتها؛ بمعنى أنه "يعمم الحجاج على كل قول ويجعلها تعادلية ضرورية: كل قول= حجاج، أن تتكلم يعني أن تحاجج، ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجية"[٤].

– الحجاج عند (ماير Meyer):

جاءت آراء (ماير Meyer) في الحجاج منبثقة من فلسفة السؤال والجواب على أن للكلام وظيفة تساؤلية؛ ولذا فإن "كان الكلام إثارة للسؤال أو استدعاء له لزم أن يتولد عن ذلك نقاش يولد بدوره حجاجًا"[٥]، وتكون

(١) مقاربات نظرية في مظاهر الربط الحجاجي لبنية الاقتضاء، د. أحمد كروم، ص٢٣٠.

(٢) الحجاج في المناظرة مقاربة حجاجية لمناظرة أبي سعيد السيرافي لمتى بن يونس، أحمد إتركنرمنت، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ٢٨٣/٢.

(٣) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص٣٥.

(٤) الأطر الإيديولوجية لبعض نظريات الحجاج، د. عبد الرزاق بنور، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ٣٤٣/١.

(٥) البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، محمد القارصي، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص ٣٩٤.

الحجة "بمثابة الجواب الذي يقوم مقام النتيجة بالنسبة إلى السؤال"[١] لذا نجد (ماير Meyer) يعرف الحجاج بأنه: "دراسة العلاقة بين ظاهر الكلام وضمنيّه"[٢] في ضوء "نظرية المساءلة" التي صاغها، فما الحُجَّة عنده -كما ذكر د. عبد الله صولة- (ت ١٤٣٠هـ) إلا جواب أو وجهة نظر يجاب بها عن طريق سؤال مقدر، يستنتجه المتلقي ضمنيًّا من ذلك الجواب؛ أي أن ظاهر الكلام هو الجواب، وضمنيُّهُ هو السؤال الذي يدل عليه المقام[٣].

وبعد هذا العرض الموجز لأبرز نظريات الحجاج في الدراسات الغربية نؤكد أن ثمة دراسات كثيرة عنيت بالحجاج ولا مجال لذكرها حتى لا يطول الحديث؛ لذا فالنظريات المذكورة ما هي إلا نموذج من عدة نماذج تناولت الدرس الحجاجي وآلياته[٤].

غير أن مقاربات الحجاج التي تناولتها هذه الدراسة تتفق في الأساسيات العامة؛ وتفترق في طريقة التناول والتطبيق، فحجاج(برِلمان perleman)و(تيتيكا Tyteca) أقرب ما يكون إلى الحجاج المنطقي؛ لأن نظريتهما عنيت باستعراض "الأطروحات المتناقضة والمتعارضة ذهنيًّا

---

(١) اللغة والمنطق والحجاج، ميشيل مايير، ترجمة: محمد أسيداه، مقال ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ٢/٣٧١.

(٢) M. Meyer, Logique Langage et argumentation, op. Cit, p12 نقلًا عن: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ٣٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٣٩.

(٤) لمزيد من الاستزادة والاطلاع على المقاربات الحجاجية ونماذجها البلاغية والمنطقية واللسانية انظر: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، د. محمد طروس.

واستجلاء منطلقاتها المنطقية والاستدلالية لمعرفة طابعها الإقناعي"[١]، أما مقاربة (أوسكمبر Anscombre) و(ديكرو Ducrot) فهي مقاربة حجاجية لغوية؛ لأنه اعتبرت بنية اللغة ذاتها ذات طاقة حجاجية؛ ولذا فكل قول يتضمن حجاجًا.

أما مقاربة (ماير Meyer) فهي معنية بنظرية المساءلة بوصف الحجة ضمنية يستنتجها القارئ من ظاهر الكلام.

ولذا فإن هذا البحث سيستند إلى نظرية (ماير Meyer) في دراسة بلاغة الحجاج في سورة النور في مستوى المعجم، وفي مستوى التركيب، وفي مستوى الصورة؛ لأن "كثيرًا من تراكيب القرآن تستجيب طريقة بنائها لمفهوم الحجاج منزّلًا في إطار نظرية المساءلة"[٢].

(١) من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، د. جميل حمداوي، ص ٣٠.

(٢) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ٣٩.

المبحث الأول: البعد الحجاجي في مستوى المعجم.

أي الكلمة وما لها "من خصائص في ذاتها تجعلها مؤهلة بطبيعتها لتكون ذات صبغة حِجَاجِيَّة"[١] لها دور دلالي في المقام ويستدعيها السياق، ومن ذلك **البعد الحِجَاجِي بالعدول عن الاسم إلى الصفة**، كما في العدول عن اسم العلم محمد ﷺ إلى صفة (الرسول)؛ إذ لم يرد الاسم (محمد) ولا مرة، في حين أن صفة الرسول ذكرت في عدة مواضع[٢] في سورة النور، من ذلك ما جاء في قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[٣] في البداية تجدر الإشارة إلى ما أكده بعض النحاة من أن دلالة الاسم العلم تنحصر بالإحالة إلى شخص ما ولا تفيد معنى لكون العلم "تسمية

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٤.

(٢) منها: ما جاء في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ [النور:٤٧]، وقوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ [النور:٥١]، وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ النور:٥٦]، وقوله: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ [النور:٦٣].

(٣) سورة النور: ٥٤.

شيء باسم ليس له في الأصل أن يسمى به على وجه التشبيه... ولا معنى في الاسم، ولذا قال أصحابنا: إن الأعلام لا تفيد معنى"[١].

لكن لو نظرنا إلى معنى محمد في المعاجم العربية لوجدنا أنه مشتق من "الحمد: نقيض الذم، ويقال: حمدتُه على فعله، ومنه المحمدة خلاف المذمّة"[٢]، وهذا المعنى لا يعطي دلالة حجاجية، في حين أن لفظ (الرسول) أضفى إلى القول بعدًا منطقيًّا مقنعًا -كما ذكر د. عبد الله صولة (ت ١٤٣٠هـ)- من حيث مواجهة الخصوم ومنكري الرسالة المحمدية؛ إذ أنشأ هذا اللفظ (الرسول) في الجملة بعدًا منطقيًّا دلاليًّا ضمنيًّا يقوم على تعليل معنى الجملة وتوجيه الخطاب وجهة دلالية؛ إذ نهض لفظ (الرسول) بدور المعلل لوجوب الطاعة، ويتضح ذلك في:

أطيعوا الرسول ـــــــــــ لكون الرسول يطاع.

آمنوا بالرسول ـــــــــــ لكون الرسول يؤمن به.

ولو قيل: (أطيعوا محمدًا، آمنوا بمحمد) لما نهضت الآيات بالمعنى الضمني لوجوب الطاعة، بل في ذلك مدعاة لمزيد من المنازعة والجدل[٣].

---

(١) شرح المفصل، ابن يعيش، ١/ ٩٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ٣/ ١ ٥٥.

(٣) انظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ١٨٠-١٨١.

ولذلك أمر القرآن بوجوب ترك "دعائه باسمه مشيرًا ضمنيًّا إلى وجوب دعائه بصفته"[١] في قوله سبحانه: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[٢] أي "لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضًا وينادي باسمه الذي سماه به أبواه، ولا تقولوا: يا محمد، ولكن: يا نبي الله، ويا رسول الله، مع التوقير العظيم"[٣]؛ تمييزًا له عن سائر البشر، وذلك أدعى للخضوع والتسليم، والإقناع بعلو منزلته وقدره.

ومن عدول القرآن عن الاسم إلى الصفة، العدول عن الاسم (إبليس) إلى صفته (الشيطان) إذ لم يرد الاسم في سورة النور، في حين أن الصفة وردت مرتين في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤] ذهب العلماء إلى أن إبليس لفظ عربي مشتق من الإبلاس "يقال:

---

(١) المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٢) سورة النور: ٦٣.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ٣/٢٦٠.

(٤) سورة النور: ٢١.

أبلس إذا يئس، قال الله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[1]، قالوا: ومن ذلك اشتق اسم إبليس، كأنه يئس من رحمة الله"[2].

وجاء في كتاب العين: "سمي إبليس لأنه أُبلس من الخير؛ أي أويس، وقيل: لعن، والمبلس: البائس"[3].

في حين أن بعض العلماء ذهب إلى أن إبليس علم أعجمي الأصل، كأبي عبيدة (ت ٢٠٩هـ) حين قال: "﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾[4] نصب إبليس على استثناء قليل من كثير، ولم يصرف إبليس لأنه أعجمي"[5]،

أما صفة (الشيطان) فهي مشتقة من الفعل (شطن) وهذا ما ذكره الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) في معجمه حين قال: "الشيطان: فيعال من شطن؛ أي: بعد، ويقال: شيطن الرجل وتشيطن إذا صار كالشيطان وفَعَل فِعله"[6]، وجاء في لسان العرب أن الشيطان مشتق من شطن أو من شاط على رأي آخرين، حين قال: "الشيطان: فيعال من شطن إذا بعد... والشيطان معروف، وكل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان... وقيل: الشيطان فعلان من شاط يشيط إذا هلك واحترق"[7].

---

(١) سورة المؤمنون: ٧٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣٠٠/١، مادة (بلس).

(٣) كتاب العين، الخليل بن أحمد، ٢٦٢/٧، مادة (بلس).

(٤) سورة البقرة: ٣٤.

(٥) مجاز القرآن، أبو عبيدة، ٣٨/١.

(٦) كتاب العين، الخليل بن أحمد، ٢٣٧/٦، مادة (شطن).

(٧) لسان العرب، ابن منظور، ٢٣٨/١٣، مادة (شطن).

وقال البغوي (ت ٥١٦هـ) سمي الشيطان شيطانا "لبعده عن الخير وعن الرحمة"[١].

ولو نظرنا إلى المعنى اللغوي للاسمين لوجدنا أن الاسم إبليس –عند من رأى أن أصله عربي– دل على معنى القنوط واليأس وانقطاع الحجة، وقد وردت هذه اللفظة في كلام العرب فقالوا: "أبلست الناقة فهي مبلاس: إذا لم ترع من شدة الضبعة"[٢]، ومنه أيضا "الناقة المبلاس: التي لا ترغو"[٣] من الخوف.

في حين أن صفة الشيطان دلت على من بعُد عن الحق وأبعد غيره عن طريق الخير والرشاد، ولذا فهذه اللفظة كما ذكر العقاد (ت ١٣٨٣هـ) تجعل المتلقي يحترس ويحذر من الشيطان دون الاضطرار إلى مراجعة اللغة أو مراجعة الحكمة ليفهم ما يحذره منه؛ لأن هذه الكلمة تقع في نفس المتلقي موقع المحسوس الملموس لا مجرد عنوان أو إشارة تدل عليه؛ لأن صفة الشيطنة تدل على التعطيل والتشويه والإفساد، فهي قوة سالبة ناقصة تحول الخير عن موضعه، وتقف في طريق الكمال عقبة تسد الساعين إليه[٤]، وهذا المعنى للصفة أعطى الخطاب بعدًا إقناعيا ومحاجة بالسبب لا يعطيه الاسم (إبليس) لأن الصفة تحمل بين طياتها تحذيرا ضمنيا لكل ما هو منكر شرعي أو مخالف للآداب الإسلامية ورد في السورة كالزنى، والقذف برمي المحصنات والأزواج،

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن أو تفسير البغوي، البغوي، ١/ ١٠٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص ١٤٣– ١٤٤.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ٣/٤٧٠.

(٤) إبليس، العقاد، ص ١١، ٢٧، ٢٨.

وحادثة الإفك الشنيعة، وشيوع الفاحشة، وعدم الاستئذان في الدخول، وعدم إنكاح الأيامى والصالحين، وعدم توقير المساجد.... وغيرها، ويتمثل هذا التحذير الضمني في:

لا تتبعوا خطوات الشيطان ـــــــ لأن الشيطان مُبعد عن كل خير مُوقع في كل شر.

ولذا جاءت صفة الشيطان في سياق نهي: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[1] في حين أن معنى الإبلاس والقنوط المفهوم من الاسم إبليس لا يعطي هذا التحذير الضمني.

ومن جهة أخرى فإن صفة الشيطان تتواءم مع ما سماه (تولمين Toulmin) بالضمان أو القاعدة[2] التي بواسطتها يقع المرور من المعطى وهو جملة النهي (لا تتبعوا خطوات الشيطان) إلى النتيجة وهي تحقيق دلالة الجملة الضمني ويكمن في (لكونه شيطانًا فهو لا يعبد ولا يتبع) فيتحقق البعد الحجاجي الإقناعي للمتلقين على اختلافهم.

وقد يعدل القرآن من صفة إلى صفة، كما في العدول عن وصف العذاب بـ(الأليم) إلى (العظيم) في ثلاثة مواضع في الحديث عن حادثة الإفك،

---

(١) سورة النور: ٢١.

(٢) انظر: S.Toulmin, Les usages de largumentation, op. cit., p 120 نقلًا عن: الحِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ١٧٧.

حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١)، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢)، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣) فالتعبير بصفة (العظيم) للعذاب الموعود في سياق الحديث عن حادثة الإفك أضفى بعدًا حِجَاجِيًّا مقنعًا لمواجهة مُفترِي الإفك من جهة، وإقناع المتلقي من جهة أخرى؛ وذلك بالتنبيه إلى أن عظم الذنب الذي وُعِد به مدّعو الإفك جاء متناسبًا مع عظم منزلة المفترى عليها أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- (ت ٥٨هـ) وعلوها، وفي هذا مُحاجَّة لهؤلاء المفترين بتكذيب ما ادعوه، وتحقيق كمال الإقناع للمخاطب ببراءة عائشة -رضي الله عنها- (ت ٥٨هـ) وهذا يفيد ضمنيًّا عِظم منزلتها وعلوها مقابل عظم قُبح فِعْلَة من رماها بالإفك.

ومن عدول القرآن من صفة إلى صفة، وصف حادثة قذف عائشة -رضي الله عنها- (ت ٥٨هـ) بحادثة الإفك عدولًا عن تسميتها بحادثة الكذب،

---

(١) سورة النور: ١١.

(٢) سورة النور: ١٤.

(٣) سورة النور: ٢٣.

في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[2] جاء في لسان العرب "الكذب: نقيض الصدق؛ كذب يكذب كذبًا"[3]، والإفك "في الأصل الكذب، وأراد به هاهنا ما كُذب عليها مما رُميت به، والإفك: الإثم، والإفك: الكذب، والجمع الأفائك، ورجل أفاك وأفيك وأفوك: كذاب... وتقول العرب: يا لِلأفيكة ويا لَلأفيكة، بكسر اللام وفتحها، فمن فتح اللام فهي لام استغاثة، ومن كسرها فهو تعجب كأنه قال: يا أيها الرجل، أعجب لهذه الأفيكة وهي الكذبة العظيمة"[4].

وفرّق معجم الفروق اللغوية بين الكذب والإفك بقوله: "الكذب اسم موضوع للخبر الذي لا مخبر له على ما هو به، وأصله في العربية التقصير، ومنه قولهم: كذب عن قرنه في الحرب إذا ترك الحملة عليه، وسواء كان الكذب فاحش القبح أو غير فاحش القبح، والإفك هو الكذب فاحش القبح مثل: الكذب على الله ورسوله أو على القرآن، ومثل قذف المحصنة، وغير ذلك مما

(١) سورة النور: ١١.

(٢) سورة النور: ١٢.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٧٠٤.

(٤) المرجع السابق، ١٠/ ٣٩٠- ٣٩١.

يفحش قبحه وجاء في القرآن على هذا الوجه، قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾[١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[٢] ويقال للرجل إذا أخبر عن كون زيد في الدار وزيد في السوق: إنه كذب، ولا يقال: إفك حتى يكذب كذبة يفحش"[٣].

من خلال الاقتباسين السابقين تبين أن الكذب والإفك نقيضان للصدق، غير أن الكذب قد يكون فاحشًا وغير فاحش، في حين أن الإفك لا يطلق إلا على الأمر العظيم فاحش القبح؛ لذا عبر بالإفك هنا؛ لأن أي قبح أعظم من قذف لأم المؤمنين –رضي الله عنها– (ت ٥٨هـ) وهي أحق الناس بالمدح والإطراء لما عرفت عليه من عفة وطهارة وشرف.

واختيار صفة (الإفك) في التعبير عن هذه الحادثة ذات أبعاد حجاجية، فهي تؤدي ما سماه (برلمان perleman) و (تيتيكا Tyteca) بالحجة البراغماتية وهي "الحجة التي تمكّن من تقويم عمل ما أو حدث ما في ضوء ما يترتب عليه من نتائج إيجابية أو سلبية"[٤]، وتقويم عمل الإفك وفق ما يترتب عليه من نتائج سلبية تمثل في أن شدة حقد المنافقين وكراهيتهم للمسلمين

---

(١) سورة الجاثية: ٧.

(٢) سورة النور: ١١.

(٣) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص ٤٥٠.

(٤) Ch. Perelman et L. Olbrechts- Tyteca, Traite de largumentation, op. cit., chap: Largument pragmatique, pp357. نقلًا عن: الحِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ١٩٥.

أدى إلى اقترافهم هذا الذنب العظيم وهو رميهم لأم المؤمنين -رضي الله عنها- (ت ٥٨هـ) بالإفك وقذفها بعرضها، ومن ثَمَّ الزيغ عن الحق من جانبين: الأول: قذف امرأة مؤمنة عفيفة، والآخر ليست أي امرأة بل زوجة سيد البشر ﷺ، وهذه النتيجة ترتبت على المعنى التقويمي للإفك، وأدت دورًا في بيان عظم جريمة هؤلاء القاذفين وبشاعتها، وتمييز المؤمنين الخلص من المنافقين بتأثير "مباشر في توجيه العمل"[١] من خلال تبرئة عائشة -رضي الله عنها- (ت ٥٨هـ) مما قالوه اعتمادًا على ظنونهم السيئة، ومُحاجتهم على تلك الأوهام الضالة.

ومن عدول القرآن من صفة إلى صفة، العدول عن صفة (القذف) إلى صفة (الرمي) في ثلاث آيات، هي: قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٣] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا

(١) المرجع السابق، ص ٣٥٨، نقلًا عن: الحِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ١٩٥.

(٢) سورة النور: ٤.

(٣) سورة النور: ٦.

﴿وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1] جاءت الآيات ناهية عن اتهام المؤمنة العفيفة بالزنى وعبر بلفظ الرمي دون القذف، فهل ثمة اختلافات لغوية بين اللفظين؟ وهل لصفة الرمي قيمة حجاجية إقناعية للمخاطب؟

"القذف: الرمي البعيد، ولاعتبار البعد فيه قيل: منزل قذف وقذيف، وبلدة قذوف: بعيدة"[2]، أما الرمي فيقال: "رميت بالسهم رميًا وارتميت وترامیت ترامیًا ورامیت مراماة إذا رميت بالسهام"[3].

دل المعنيان اللغويان على اشتمال كل منهما على معنى الاعتداء، غير أن القذف دل على الرمي البعيد، في حين أن الرمي لم يدل عليه، وقد استعمل فعل الرمي هنا دون فعل القذف –والله أعلم– لكون المرمية بالعيب والإثم غافلة عما رُميت به ودُبر لها؛ ولذا وصفها القرآن بالغافلة حين قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾[4] وحال غفلتها تلك تجعل الفاعل لا يستجمع جميع قواه وقوته لهذه الرمية، بل حاله كحال من سيرمي بسهم قريب يكفيه شيء يسير من القوة والشجاعة، ولذا ففي العدول إلى صفة الرمي أبعاد حجاجية للقاذف المتهِم، وللمقذوفة المتهَمة وللسامع والقارئ على مر العصور.

أما من جهة المقذوفة ففيه نصرة لها ومُحاجة على من قذفها ظلمًا وعدوانًا؛ لأن أثر اللسان بالقول كأثر السنان بالسهم، وزد على ذلك وهي في

(١) سورة النور: ٢٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٦٦١– ٦٦٢.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ١٤/ ٣٣٥.

(٤) سورة النور: ٢٣.

غفلة من أمرها، يقول ابن عطية: (ت ٥٤٢هـ) "وعبر عن القذف بالرمي، من حيث معتاد الرمي أنه مؤذٍ كالرمي بالحجر والسهم، فلما كان قول القاذف مؤذيًا جعل رميًا، وهذا كما قيل وجرح اللسان كجرح اليد"(١).

وأما من جهة القاذف فبرغم سهولة هذا الأمر عليه -كما دل المعنى الدلالي للكلمة- فإن ذنبه عظيم، ونتيجته وخيمة، ومحاجته بالاعتراف بالذنب أقرب؛ لأنه رمى رميته دون أن يحشد الحجج التي تثبت صدقه.

وأما من جهة سامع القرآن وقارئه على مر العصور فإن الفعل (يرمي) صوَّر هذه الجريمة بصورة بصرية حين "استعار الرمي للشتم بفاحشة الزنى لكونه جناية بالقول"(٢)، والصورة المتخيلة يكون الاقتناع بها أكثر، والدفاع عنها ألزم.

وقد يكون **العدول من الخاص إلى العام** من حيث إن "الآية والآي، تنزل في القصة تقع وهي لجماعة الناس"(٣)، وهذا مما جرى في عدة مواضع من سورة النور، منها قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾(٤) ذكر الواحدي (ت ٤٦٨هـ) في أسباب النزول أن "أبا أيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته فقالت: يا أبا أيوب،

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٤/ ١٦٤.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٤/٩.

(٣) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص ١٦٢.

(٤) سورة النور: ١٦.

ألم تسمع بما يتحدث الناس؟ قال: وما يتحدثون؟ فأخبرته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم"[١].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٢] جاء في سبب النزول أن "عبد الله بن أبي يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئًا، فأنزل الله عز وجل: ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء"[٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾[٤] إذ نزلت الآية "في بشر المنافق وخصمه اليهودي، حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمدًا يحيف علينا"[٥].

إذ عدل هنا في الآيات عن ضمائر الخطاب المفردة إلى صيغ تدل على الجمع، وهذا من شأنه الدلالة على أن الخطاب عام وليس مقتصرًا على مقام محدد أو أشخاص بعينهم أو أمكنة وأزمنة بعينها، وهذا الاتساع والشمول جعل هذه الحادثة تتجاوز نطاقها الضيق المخصوص بشخص ما إلى رحب

---

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي، ص ٣٣٣.

(٢) سورة النور: ٣٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٣٥.

(٤) سورة النور: ٤٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٣٥.

أوسع وهو عامة الناس على مر الدهور والأزمنة، وهذا أوجد بعدًا حِجَاجِيًّا؛ إذ حقق "ثلاثة شروط من شروط المُحَاجَّة: أولها التعميم بجعل المخاطب جمهورًا لا فردًا، وأفضل الحِجَاج ما جعله ربُّه عامًّا فهو للجمهور الواسع. . . أما ثاني هذه الشروط فهو جعل الطرف المتلقي معنيًّا مباشرة بالقضية المعروضة من خلال مخاطبته بضمير أنتم، وأما ثالث هذه الشروط فجعل هذا الطرف المعني بالخطاب طرفًا منقطعًا متجددًا دائمًا بواسطة العنصر الإشاري (أنتم)، فهذا العنصر صورة فارغة تملؤه عبر الزمان ذات يتوجه إليها الخطاب القرآني"(١).

وسورة النور حوت معاني توجيهية عدة، وعالجت الكثير من القضايا الدينية والآداب الاجتماعية المتعلقة بحياة المسلم في أي عصر يعيشه؛ لذا كان الخطاب عامًّا حتى في الحديث عن أحداث خاصة سالفة ليكون الخطاب موجهًا لعامة المتلقين على مر العصور، ومؤديًا دوره الحِجَاجِي الإقناعي والتوجيهي.

(١) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ٢٠٥- ٢٠٦.

المبحث الثاني: البعد الحِجَاجي في مستوى التركيب:

بالوقوف على الدلالة الحِجَاجِيَّة في مستوى الجملة والجمل، سواء كان **العدول كميًّا أو نوعيًّا، والعدول الكمي يكون بالزيادة أو بالنقصان، ومن العدول بالزيادة تأكيد الجملة بمؤكِّد**، كما في **تأكيد الجملة الخبرية بحرف التوكيد (إن)** في سياق الحديث عن حادثة الإفك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١) ، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢) إذ فهم من التوكيد الذي تصدر الآيتين (إن الذين جاءوا بالإفك، إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة) بطلان الافتراء الموجه لعائشة –رضي الله عنها– (ت ٥٨هـ) وما جرت به ألسنة الطاعنين وإنكار كذبهم ودحضه، وحملهم على التسليم بفساد ما ادعوه، وموافقة ما جاء به النظم القرآني من براءة عائشة – رضي الله عنها– (ت ٥٨هـ)، وبذا يتحقق البعد الحِجَاجِي من زاويتين، هما: انتفاء حُجَّة القائلين بحادثة الإفك وهدم ادعائهم، وصحة نظرية القرآن

(١) سورة النور: ١١.

(٢) سورة النور: ١٩.

المُبَرِّئَة، وهذا المفهوم مستنتج من المنطوق الذي جاءت به الجملة القرآنية المؤكّدة المثبتة على النحو التالي:

منطوق الآية	المفهوم وهو نظرية الطاعنين المنقوضة
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾. - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾.	إذن انتفاء وقوع حادثة الإفك والرد على من أشاعها ولم يصن حرمة الأعراض.

وقد **تؤكد الجملة بأداة القصر (إنما)** كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

(١) سورة النور: ٥١.

(٢) سورة النور: ٦٢.

جاءت الآية الأولى بعد ذكر إعراض المنافقين عن التحاكم إلى الله ورسوله، ولذا قُصر الإيمان فيها على المؤمنين الصادقين الذين قالوا سمعنا وأطعنا، "وجيء بصيغة الحصر بإنما لدفع أن يكون مُخالف هذه الحالة في شيء من الإيمان وإن قال بلسانه إنه مؤمن، فهذا القصر إضافي، أي هذا قول المؤمنين الصادقين في إيمانهم لا كقول الذين أعرضوا عن حكم الرسول حين قالوا: (آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) فلما دعوا إلى حكم الرسول عصوا أمره فإن إعراضهم نقيض الطاعة"[(١)].

وجاءت الآية الثانية إشادة بعباد الله المؤمنين الذين لم يفترقوا عن رسوله ولم ينصرفوا عنه إذا اجتمعوا على أمر إلا بإذنه، وكلتا الآيتين مضمنة الذم لفعل المنافقين ومراوغتهم.

ويؤدي التوكيد بـ(إنما) دورًا حجاجيًّا فعالًا؛ لكونه -كما رأى أحد الباحثين- عاملًا حجاجيًّا يؤدي دورًا مركزيًّا في التوجيه والربط بين الضمني والصريح والقضاء على تعدد النتائج والاستلزامات[(٢)].

وفي الآيتين السابقتين كان لعامل التوكيد (إنما) قوة حجاجية يتطلبها المقام؛ إذ دل على وجود "نظريات معارضة للنظريات المصرح بها وهي نظريات القرآن، ولكنها نظريات باطلة مهدومة، فعلى هذا تكون الجملة المؤكدة قائمة على تعدد الأصوات؛ إذ هي تنطوي على صوتين متعارضين: أحدهما منطوق

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨/ ٢٧٤.

(٢) انظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، د. عز الدين الناجح، ص ٦٢.

وهو صوت القرآن مثبتًا والآخر مفهوم وهو صوت الخصوم منفيًّا"[1]. أما صوت القرآن المثبت فهو بيان حال المؤمنين الصادقين المسلِّمين بأمر الله وأمر رسوله، فهم لا ينصرفون عن مجلسه حتى يستأذنوه، فهذه علامة مميزة للمؤمنين عن المنافقين الذين يحضرون هذه المجالس، ثم يتسللون منها خشية أن يطرق مسامعهم ما لا يمتثلون به، أو أن يكلفوا بما لا يريدونه.

وأما صوت الخصوم المنفي فهو صوت المنافقين وادعاءاتهم الباطلة بمحبة رسوله والمؤمنين والانقياد بما أمر به.

وبيان ذلك على النحو التالي:

منطوق الآية وهو صوت القرآن المثبت	صوت الخصوم المنفي	مفهوم الآية وهو نظرية الخصم المهدمة
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾	صوت المنافقين المدَّعين إجابتهم لأمر الله ورسوله.	إذن المنافقون ليسوا مؤمنين لادعائهم الإيمان بالأقوال الظاهرة الباطلة المزيفة وإخفائهم الكفر.
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ﴾	صوت المنافقين المدَّعين مشاركتهم لأمر رسوله والمؤمنين في كل أمر جامع.	إذن المنافقون ليسوا مؤمنين لادعائهم الإيمان بالأقوال الظاهرة الباطلة المزيفة وإخفائهم الكفر.

(١) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ٢٧٣.

ومن العدول بالزيادة تأكيد الجمل، ويكون هذا الضرب بدخول الجملة على أختها فتقررها وتؤكد محتواها، ولم يغفل البلاغيون القدماء والمحدثون الحديث عن هذا النوع، بل تناولته مصنفاتهم(١)؛ إذ فصلوا الحديث عن الإطناب وذكروا أنواعه وشواهده، من ذلك **التكرار** في سياق أمر المؤمنات بالاحتشام وعدم إظهار الزينة للرجال الأجانب في قوله سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢).

كرر سبحانه النهي عن إبداء الزينة في ثلاثة مواضع، اثنان منها في أول الآية في قوله: {ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها} وقوله: {ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن...} وتوسطهما الأمر بضرب الخُمُر على الجيوب في قوله: {وليضربن بخمرهن على جيوبهن}، والثالث في ختام الآية في قوله: {ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن}، وجاء منطوق القرآن في كل النواهي الثلاثة بلفظ الزينة، "والزينة قسمان خلقية ومكتسبة، فالخلقية: الوجه والكفان

(١) انظر على سبيل الذكر لا الحصر: الصناعتين، العسكري، ص ١٩٠- ١٩٣، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٤١٢/٢ وما بعدها، الإطناب في القرآن الكريم دراسة بلاغية، د. مختار عطية، دار الجامعة الجديدة، ط١، ٢٠٠٨م.

(٢) سورة النور: ١٧.

أو نصف الذراعين، والمكتسبة: سبب التزين من اللباس الفاخر والحلي والكحل والخضاب بالحناء"[1] والخلخال والسوار.

وتضمَّن هذا المنطوق معاني عدة تفهم من الآية:

- إذن هنالك من تظهر وجهها وذراعيها للرجال الأجانب.
- إذن هنالك من تبدي صدرها ونحرها وشعرها وعنقها عند غير محارمها.
- إذن هنالك من تظهر لبسها وحليها وخضابها وكحلها لغير المستثنين في الآية.
- إذن هناك من تضرب برجلها وتُسمع صوت خلخالها للرجال الأجانب.

وكل هذه الأوامر والنواهي سلسلة محكمة لتوجيهات ربانية فيها صلاح وفلاح للبشرية كلها؛ ولذا جاء تكرار النهي تأكيدًا على حفظ العورات والمفاتن عن الظهور؛ لأن ظهورها وسيلة إلى شيوع الفتنة والرذيلة، ومُحاجة لكل مُمانع، وإقصاء لكل معارض، وهدْم لكل معتقد مخالف، وقد "قال المفسرون: إن نساء الجاهلية كن يشددن خمرهن من خلفهن، وإن جيوبهن كانت من قدام، فكان ينكشف نحورهن وقلائدهن، فأمرن أن يضربن مقانعهن على الجيوب ليتغطى بذلك أعناقهن ونحورهن وما يحيط به من شعر وزينة من الحلي في الأذن والنحر"[2].

وقد يقع العدول بالزيادة **بالجملة الاعتراضية**، والجملة الاعتراضية في العرف النحوي جملة أجنبية عن السياق، لكنها في السياق الدلالي والحجاجي

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨/ ٢٠٥- ٢٠٦.

(٢) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، ٢٣/ ٣٦٤.

لا تخرج عنه، بل "تكون في كثير من الأحيان جزءًا أساسيًّا في الكلام الذي تدخل عليه مشكِّلة معه تلاحمًا واتساقًا"(١)، ومن ذلك ما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾(٢).

ففي قوله تعالى: (إن أردن تحصنًا) جاء "هذا الاعتراض ليبشِّع ذلك عند المخاطب ويحذره من الوقوع فيه، ولكي يتيقظ أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة وإن لم يكن زاجر شرعي"(٣)، فالجملة الاعتراضية (إن أردن تحصنًا) قامت بدور تعليلي للجملة التي قبلها وهي قوله: (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) وذلك أن هؤلاء الإماء يأبين البغاء، وإنما أُكرهن وأُجبرن عليه؛ ولذا فالجملة الاعتراضية أوجدت علاقة سببية بين الجملتين تتمثل في:

السبب في الجملة الاعتراضية	النتيجة في الجملة الأصلية
رغبة الإماء بالتحصن ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾	﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾

وهذه العلاقة السببية أوجدت تكاملًا بين الجمل؛ إذ إن الجملة الاعتراضية دعمت النتيجة دعمًا منطقيًّا، وأقامت الحجة على مُخالفها.

وقد يكون العدول كميًّا بالنقصان كما في **حذف جواب (لولا)** في قوله سبحانه: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ**

(١) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ٣٥٣.

(٢) سورة النور: ٣٣.

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ٦/ ٦٠٢.

حَكِيمٌ ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] فجُمل الشرط والسياق هنا دلت على الجواب المحذوف "أي لعاجلكم بالعقوبة"[3]، وحُذِف الجواب "لأنه معلوم المعنى، وكذلك كل ما كَانَ معلوم الجواب فإن العرب تكتفي بترك جوابه"[4]، وفي هذا توجيه للمتلقي لتصور جمل الجواب المحذوفة التي يجب أن يهتدي إليها وفق ما تمليه جمل الشرط، وهذا أبلغ من ذكرها، ليس من جهة الترهيب والتخويف فقط كما ذكر د. أحمد بدوي (ت ١٣٨٤هـ) حين قال: "ترك جواب (لولا) هنا يثير في نفس هؤلاء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة الرهبة من عذاب الله"[5]، وإنما أيضًا لتحقيق بعد حِجَاجِي مؤثر للمخاطب من خلال توجيه ذهنه لتصور الجزاء وهو عدم غفران الله لهم وتعذيبهم الذي جاء الشرط مضمنًا له (لولا فضل الله عليكم)، فكأن الشرط ألمح للجواب ليدفع المخاطب للتوصل للحجة وتبنيها، وهي أن ذنب القذف ليس بالهين ولم يتحقق غفرانه إلا بفضل ومنة من الله، فيتحقق الأثر الإقناعي الحِجَاجِي ويتهيأ الإقرار، وتوضيح ذلك بالجدول التالي:

الآية	جملة الشرط	جملة الجواب المحذوف	جملة الدليل على الجواب المحذوف

(١) سورة النور: ١٠.

(٢) سورة النور: ٢٠.

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ٥٨٢/٦.

(٤) معاني القرآن، الفراء، ٢٤٧/٢.

(٥) من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي ص ١٠١.

- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾	ولولا فضل الله عليكم ورحمته.	ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعاجلكم بالعقوبة.	ولولا فضل الله عليكم.
- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾	ولولا فضل الله عليكم ورحمته.	ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعاجلكم بالعقوبة.	ولولا فضل الله عليكم.

بيّن هذا الجدول كيف دلت جملة الدليل على جواب الشرط المحذوف، وهي بذلك تلمح للقارئ وتمده بالأدوات التي تجعله يقدر الجواب المحذوف، ولا شك أن ما يسهم المخاطب في إنتاجه أقوى في محاجته وأشد في إقناعه.

وأما العدول النوعي في التراكيب فهو "الانتقال من طريقة في التعبير إلى طريقة أخرى مختلفة عنها"(١)، كما في **عدول القرآن عن الجملة الخبرية المثبتة إلى أسلوب الاستفهام**، في قوله سبحانه: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾(٢) ذكر أبو السعود (ت٩٨٢هـ) والألوسي (ت ١٢٧٠هـ) أن الاستفهام في قوله: (ألم تر) للتقرير(٣)، وجاء لحمل المخاطب على الاعتراف والإقرار والإقناع؛ وذلك أن من تقرر عنده الاعتراف بعلم الله

(١) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ٤٢٣.

(٢) سورة النور: ٤١.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١٨٢/٦، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ٣٧٩/٩.

الشامل المطلع على كل شيء كان أحرى به أن يقر بعلمه سبحانه عن دقائق أفعال مخلوقاته بما في ذلك تسبيحهم وصلاتهم.

وهذا البعد الحِجَاجِي الضمني الذي استخلص من الاستفهام جاء على هذا النحو:

– القرآن: ألم تعلم أن الله عليم بما تفعل مخلوقاته؟

– المخاطب: بلى.

– بقية الحوار كما وجهه الاستفهام: إن الله يعلم تسبيح مخلوقاته وصلاتهم في السماوات والأرض فهو مطلع على كل صغيرة وكبيرة.

وقد **يعدل القرآن عن الجملة الخبرية المنفية إلى أسلوب الاستفهام،** كما في سياق حديث القرآن عن إعراض المنافقين عن التحاكم إلى رسول الله ﷺ (ت ١١هـ) في قوله سبحانه: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١) فالاستفهام في "(أفي قلوبهم مرض) إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لِمَنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم... فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وأم من الأمور الثلاثة بل هو منشئها كأنه قيل: أذلك أي إعراضهم المذكور لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم، أم لأنهم ارتابوا في أمر نبوته ﷺ مع ظهور حقيقتها، أم لأنهم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله، ثم أضرب عن الكل... وحكم بأن

(١) سورة النور: ٥٠.

المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل: (بل أولئك هم الظالمون)"[1]، فمحور حمل المخاطب على الإقرار كان من خلال فرض إجابة للاستفهام دل عليها السياق، وهي: أن سبب إعراض هؤلاء المنافقين في التحاكم لله ورسوله في قضاياهم ليس مرضًا في قلوبهم ولا شكًّا في نبوة محمد ﷺ ولا خوف الحيف والظلم –تعالى الله ورسوله عن ذلك–، ومن ثَمَّ استدراج المخاطب على الإقرار والاعتراف بأن السبب الحقيقي لإعراض هؤلاء المنافقين هو الظلم والجور الذي سيطر على أنفسهم؛ إذ أصبحوا يخافون حكم الله ورسوله؛ لأنه عادل يأخذ منهم ما ليس لهم، ويعطيه لمستحقه من خصومهم.

وهذا البعد الحِجَاجِي الذي تضمنه الاستفهام لا يتحقق بالجملة الخبرية المثبتة (إن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير...) ولا الجملة الخبرية المنفية (إعراض المنافقين ليس لمرض في قلوبهم ولا خوف الريبة أو الجور وإنما لظلمهم أنفسهم)؛ لأن الاستفهام –كما ذكر د. عبد الله صولة– (ت ١٤٣٠هـ) يعرض القضية كاملة بما فيها جوانب الاتفاق بين المخاطبين، ثم يدفع المخاطب إلى ما هو أهم وهو موضوع الخلاف، ويحمله على الإقرار والاقتناع[2] من خلال جريان الحجة على لسانه هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن "عرض النفي بصورة الاستفهام أقوى حجة من النفي المباشر؛ لما في ذلك من المفاجأة وتأجيل قدرة المتلقي على الرد؛ إذ تعرض القضية في

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ١٨٧/٦.

(٢) انظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ٤٢٩.

صورة المشكوك فيه، كما أن تراكمات النفي تلك تعطي قوة في إبعاد قناعات المتلقي وحمله على الإقناع بما يلزمه به الخطاب"[١].

ومن العدول النوعي التقديم والتأخير من حيث المقياس النحوي، كما في تقديم المسند على المسند إليه، في قوله سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٢] "(لله) خبر مقدم و(ملك السماوات والأرض) مبتدأ مؤخر"[٣]، والتقديم للمسند (الله) فيه "بيان لاختصاص الملك به تعالى"[٤] وانتفائه عن غيره، وهذا دحض لكل خصم ادعى الملكية، ولو جاءت الآية على الأصل في القياس النحوي: ملك السماوات والأرض لله، لما أفادت معنى الاختصاص لله دون غيره، ولا تضمنت مُحاجة لكل من ادعى الملكية، بل ستفقد بعدها الحجاجي.

ومثل ذلك أيضًا ما جاء في قوله سبحانه: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾[٥] فقد أشار النحويون إلى أن "(فيها) خبر مقدم و(متاع لكم) مبتدأ مؤخر"[٦]، وأفاد التقديم والتأخير

---

(١) الخطاب الحجاجي في كتابات محمد عبد الله دراز، د. ذيب العصيمي، ص ٤٠٣.

(٢) سورة النور: ١٦.

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ٦٢٣/٦.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ٣٨١/٩.

(٥) سورة النور: ٢٩.

(٦) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ٥٩٠/٦، وانظر: الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود صافي، ١٨/ ٢٥٢.

تخصيص الإذن بالسماح بدخول البيوت غير المسكونة لمن ترك فيها متاعًا له، وتكمن المُحَاجَّة في "أن من لا منفعة له في دخولها لا يؤذن له في دخولها؛ لأنه يضيق على أصحاب الاحتياج"[(١)]، ولو جاءت الآية على الأصل النحوي: متاع لكم فيها، لما أفادت تخصيص هذه الفئة دون غيرها ولا تبينت الحجة وراء هذا التضييق.

وأما البعد الحِجَاجِي **للتقديم والتأخير من حيث مقياسه الدلالي** فيظهر في قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[(٢)] إذ قدم سبحانه الاستخلاف في الأرض على التمكين في الدين وعلى تبديل الخوف أمنًا، مع كون "المسلمين واثقين بالأمن، ولكن الله قدم على وعدهم بالأمن أن وعدهم بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والشريعة فيهم؛ تنبيهًا لهم بأن سنة الله أنه لا تأمن أمة بأس غيرها حتى تكون قوية مكينة مهيمنة على أصقاعها، ففي الوعد بالاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف أمنًا إيماء إلى التهيؤ لتحصيل أسبابه مع ضمان التوفيق لهم والنجاح إن هم أخذوا في ذلك"[(٣)]، فالتقديم والتأخير هنا أوجد تسلسلًا منطقيًّا مقنعًا للمخاطب، وهو

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٠٣/١٨.

(٢) سورة النور: ٥٥.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨٢/١٨.

أن الاستخلاف في الأرض ينتج عنه التمكين في الدين، ومن ثَمَّ يتحقق الأمن والطمأنينة والاستقرار على النحو التالي:

الاستخلاف في الأرض ـــــ مؤدٍّ إلى ـــــ التمكين في الدين ـــــ محقق ـــــ الأمن والطمأنينة والاستقرار.

المبحث الثالث: البعد الحِجَاجِي في مستوى الصورة:

للصورة عند البلاغيين بعد حِجَاجِي إقناعي تأثيري؛ لما لها من قدرة على تصوير المعنى وتجسيده بصورة مرئية في ذهن السامع، وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) حينما قال: "لو أن رجلًا أراد أن يضرب لك مثلًا في تنافي الشيئين فقال: هذا وذاك هَلْ يجتمعان؟ وأشار إلى ماء ونارٍ حاضرَين، وجدتَ لتمثيله من التأثير ما لا تجده إذا أخبرك بالقول فقال: هل يجتمع الماءُ والنار؟ وذلك الذي تفعل المشاهدةُ من التحريك للنفس، والذي يجب بها من تمكُّن المعنى في القلب"(١).

وهذه الوظيفة الإقناعية للصورة يؤكدها ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) حين قال: "إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرقِ الترغيب فيه، أو التنفير عنه، ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتًا في النفس خيالًا حسنًا يدعو إلى الترغيب فيها، وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتًا في النفس خيالًا قبيحًا يدعو إلى التنفير عنها، وهذا لا نزاع فيه"(٢).

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص ١٢٧.

(٢) المثل السائر، ابن الأثير، ١/ ٣٧٨.

ووعي البلاغيين التام بوظائف الصورة الحِجَاجِيَّة يجعلنا نؤكد ما ذهب إليه د. عبد الله صولة (ت ١٤٣٠هـ) من الدراسات الحِجَاجِيَّة الحديثة الغربية لا تكاد تضيف شيئًا إلى الصورة ودورها عما ذكره البلاغيون العرب[١].

أما الصورة في القرآن فهي مستمدة من عالم المخاطب الحسي أو الفكري الثقافي؛ لذا فهي مؤثرة في المؤمنين والكافرين على السواء، أما التأثير في المؤمن فيكون من جهة إيصال المعنى إلى قلبه وعقله بسهولة وتحقق الإقناع التام، وأما من جهة الكافر فيكون بحسم عناده وإعراضه.

والمتأمل لسورة النور يلحظ حضور ثنائية النور والظلام ابتداء من اسم السورة وبعض فواصل الآيات كما في قوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[٢]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[٣] ونزولًا إلى الصور التي كانت بؤرتها هذه الثنائية نحو ما جاء في قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤].

وقوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[٥].

---

(١) انظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص٤٩٥.

(٢) سورة النور: ٣٧.

(٣) سورة النور: ٤٤.

(٤) سورة النور: ٣٥.

(٥) سورة النور: ٤٠.

فهاتان الصورتان مستمدتان من عالم المخاطب وهو عالم النور والظلام، ففي الآية الأولى جاء التصوير لهداية الله؛ إذ شبه سبحانه نوره وهدايته "التي بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات وصارت في ذلك بمنزلة المشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية، وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء"(١).

ومقابل هذه الصورة ما صورته الآية الثانية من ظلام قلب الكافر وتخبطه في الكفر كتخبط سابح في ظلمة بحر تتلاطمه الأمواج من كل جانب.

واستعارت النور للهداية والظلام للكفر ثنائيتان تكررتا في القرآن، وأرجع د. عبد الله صولة (ت ١٤٣٠هـ) سبب ذلك إلى التلازم النسقي الثقافي للعرب القائم على محبة البياض أو ما يفهم منه كالنور، وكراهية السواد أو ما يفهم منه كالظلام والظلمات، فالنور والظلام لهما أبعاد دلالية عندهم، وعندما يوصف الهدى بالنور فهو يدخل في زمرة الأمور المحمودة المشحونة بقيمة إيجابية، بخلاف الكفر الذي اقترن بالظلام فأصبح في زمرة الأشياء المشؤومة البغيضة(٢)، وهذه الخلفية للنور والظلمات كونت أداة حِجَاجِيَّة في سورة النور من جانبين: الأول: للكافر والجاحد إذ لا يستطيعان إنكارها لكونها مبنية على مسلمات يقرون بها، فحواها: النور مرغوب إذن الهداية نور

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، ٣٨٦/٢٣.

(٢) انظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، ص ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧.

فهي مرغوبة، والظلام مكروه إذن الكفر ظلام فهو مكروه، فالتصوير للنور والظلام هنا جاء حسيًّا.

والثاني: من جهة المؤمن، وهي ربط الأحكام والحدود والآداب بالنور والظلام، فالمعصية المرتبكة نحو: الزنى ورمي المحصنات والأزواج، وقذف عائشة -رضي الله عنها- (ت ٥٨هـ) والمؤمنات المحصنات، واتباع خطوات الشيطان، وعدم الاستئذان، وغض البصر، وإنكاح الأيامى والصالحين، وعدم توقير المساجد... تمثل ظلامًا وتشبه به، في حين أن الحكم والحد الشرعي والأدب الإسلامي يمثل النور ويشبه به؛ لأنه بهذه الحدود والآداب تصلح المجتمعات ويعود النفع عليها، فالتصوير للنور والظلام هنا جاء معنويًّا.

وتوضيح ذلك في الجدول التالي:

الآية	الظلام	النور
﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]	معصية الزنى	إقامة الحد.
﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤]	رمي المحصنات	إقامة الحد.
﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦]	رمي الأزواج	اللعان

الآية	الظلام	النور
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور:١١]	حادثة الإفك	تبرئة عائشة –رضي الله عنها–مما رميت به.
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾ [النور:١٩]	إشاعة الفاحشة بين المؤمنين	العذاب الموعود في الدنيا والآخرة.
﴿لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[النور:٢١]	اتباع خطوات الشيطان	الحذر من الشيطان وخطواته
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ﴾ [النور:٢٧]	عدم الاستئذان في الدخول.	الاستئذان في الدخول.
﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ [النور:٣٠] ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣١]	عدم غض المؤمنين والمؤمنات لأبصارهم وحفظهم لفروجهم.	غض المؤمنون والمؤمنات لأبصارهم وحفظهم لفروجهم.

الآية	الظلام	النور
﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾ [النور:٣٢]	عدم إنكاح الأيامى والصالحين.	إنكاح الأيامى والصالحين
﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ [النور:٣٣]	– عدم استعفاف من لا يملك مهرا ولا نفقة عن الزنا. – رفض مكاتبة عباد الله الصالحين. – إكراه الفتيات على البغاء.	الاستعفاف حتى يغنيه الله. – مكاتبة عباد الله الصالحين. – عدم إكراه الفتيات على البغاء.
﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ [النور:٣٦]	عدم توقير المساجد.	توقير المساجد وصونها من النجاسة والكافر والأذى واللغو ورفع الأصوات.
﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧]	إعراض المنافقين عن الحق.	قبول المؤمنين للحق.

الآية	الظلام	النور
﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور:٥٤]	عدم طاعة الله ورسوله.	طاعة الله ورسوله.
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦]	عدم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.	إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ [النور:٥٨]	عدم استئذان الذين ملكت أيمانكم والأطفال.	استئذان الذين ملكت أيمانكم والأطفال.
﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور:٦٣]	تسلل المنافقين لواذًا.	استئذان المؤمنين.

ولذا فالمخاطب على حد سواء –مؤمنه وكافره– يستدل بالضمني (الكفر/ الإيمان/ الأحكام/ الحدود/ والآداب) على الصريح المعروف (النور/ الظلام) وبذلك يكون "قد وضع نفسه في موقف محرج؛ إذ يصبح من المتعذر عليه الاعتراض على ما توصل إليه بنفسه"(١).

(١) حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي ﷺ، د. الزماني كمال، ص ٣٧٩.

الخاتمة

عرض هذا البحث للحجاج البلاغي في سورة النور؛ إذ تناول التمهيد وصفًا للسورة ومقاصدها ومفاهيم الحجاج، وفي المبحث الأول عُرض البعد الحجاجي في سورة النور على مستوى المعجم، وفي المبحث الثاني بُسط الحديث عن البعد الحجاجي في سورة النور على مستوى التركيب، وفي المبحث الثالث وُقف على البعد الحجاجي في سورة النور على مستوى الصورة.

ويمكن أن نخلص بعد هذا العرض إلى أهم النتائج التي انتهت إليها هذه الدراسة:

١- تكرر وصف محمد ﷺ بصفة (الرسول) دون ذكر اسمه (محمد)، وكان لصفة (الشيطان) حضور في السورة؛ إذ وردت مرتين دون الاسم (إبليس) الذي كان غائبًا، وهذا الحضور للصفتين أضفى بعدًا حجاجيًّا مقنعًا؛ إذ نهضت صفة (الرسول) في سياقات الأمر والنهي بدور ضمني تمثل في وجوب طاعته والنهي عن مخالفته، وهو دور لا يؤديه الاسم (محمد)، كما أن صفة (الشيطان) تحمل تحذيرًا ضمنيًّا مستنبطًا من معنى الكلمة أوجد بعدًا إقناعيًّا ومحاجة بالسبب تمثل في: لا تتبعوا خطوات الشيطان؛ لأن الشيطان مُبعد عن خير موقع في كل شر.

٢- كان لاختيار الصفات المعبرة عن قذف المؤمنات أبعاد حجاجية لا تقوم بها شبيهاتها من الألفاظ؛ إذ دلت صفة (الإفك) و(يرمون) و(عذاب أليم) على عظم هذه الحادثة وتبرئة عائشة -رضي الله عنها- (ت ٥٨هـ) مما رميت به من جهة، ومحاجة للقاذف وإقناعه بعظم ذنبه من جهة أخرى.

٣- للتأكيد دور حجاجي بارز يكمن في تأكيد القضية المطروحة وفق وجهة نظر القرآن من خلال منطوق الآية الظاهر ومفهومها الذي يستنتجه السامع.

٤- إن أبلغ الحجج وأكثرها إقناعًا ما نطق به الخصوم وأسهم في صنعها، وهذا ظهر جليًّا في الاستفهام الحجاجي في سورة النور في مسار ضمني استدرج السامع وحمله على الاعتراف بالحجة.

٥- للتقديم والتأخير في سورة النور أبعاد حجاجية؛ كدحض الخصوم، وإبراز التسلسل المنطقي لتحقيق الإقناع.

٦- كان لثنائية النور والظلام في سورة النور حضور في الجانب التصويري من خلال تجسيد عقيدتي الإيمان والكفر، وربما يعود السر في ذلك -والله أعلم- إلى ما حوته السورة من جوانب عقدية وأحكام وحدود، فجاءت هذه الثنائية لتجسيد بعد حجاجي قائم على إقرار الحق وإبطال الباطل من خلال البعد الدلالي للنور والظلمة المرتكز في ذهن المخاطب.

هذه أبرز النتائج التي ظهرت في هذا البحث، أما التوصيات فيوصى: بتكثيف العناية بالنص القرآني وفق الدرس الحجاجي؛ لكونه خطابًا حجاجيًّا قائمًا على الحوار والإقناع بالموعظة الحسنة بعيدًا عن الإكراه والإجبار والقسر.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إبليس، العقاد، عباس محمود ، د. ط، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت- لبنان،، دار الكتب العلمية،١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- أسباب نزول القرآن، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ.
- أسرار البلاغة، الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، د. ط، القاهرة- بجدة، مطبعة المدني- دار المدني، ، د. ت.
- إعراب القرآن وبيانه، درويش، محيي الدين بن أحمد، ط٤، سوريا، لبنان، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، دار اليمامة، دار ابن كثير، ١٤١٥هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحقيق: عبد السلام إبراهيم، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.
- الإطناب في القرآن الكريم دراسة بلاغية، عطية، مختار، ط١، د.م، دار الجامعة الجديدة، ٢٠٠٨م.
- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، شحاته، عبد الله محمود، د. ط، مصر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٦م.
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مؤلف جماعي، إشراف: حمادي صمود، د. ط، تونس، منشورات كلية الآداب بمنوبة، د.ت.

- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، د. ط، بيروت– لبنان، دار الكتاب العربي، د.ت.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين محمد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، د. م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.
- بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، قادا، عبد العالي، ط١، عمان، دار كنوز المعرفة، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
- بلاغة الإقناع في المناظرة، عادل، عبد اللطيف، ط١، الرباط، دار الأمان، ٢٠١٣م.
- بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، المودن، حسن، ط١، عمان، دار كنوز المعرفة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، عمرو بن بحر، د. ط، بيروت، دار الهلال، ١٤٢٣هـ.
- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، د. ط، بيروت — لبنان، دار الكتب العلمية، ، د. ت.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر، تحقيق: حفني محمد شرف، د. ط، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ت.
- التحرير والتنوير، ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، عبد الكريم يونس، د. ط، القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت.
- الجدول في إعراب القرآن الكريم، صافي، محمود بن عبد الرحيم ، ط٤، دمشق، بيروت، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، ١٤١٨هـ.
- الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، الأمين، محمد سالم أمين، ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨م.

- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، صولة، عبدالله، ط٢، بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٧م.
- الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة، مجموعة من الباحثين إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، ط١، الأردن، دار ورد الأردنية، ٢٠١١م.
- حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي –رضي الله عنه–، كمال، الزماني، ط١، إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٦م.
- الخطاب الحجاجي في كتابات محمد عبد الله دراز، العصيمي، ذيب بن مقعد، ط١، طنطا، دار النابغة للنشر والتوزيع، ١٤٤١هـ.
- الخطابة، طاليس، أرسطو ، حققه وعلق عليه: عبدالرحمن بدوي، د. ط، الكويت، بيروت، وكالة المطبوعات، دار القلم، ١٩٧٩.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، عبد القاهر، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، القاهرة، جدة، مطبعة المدني، دار المدني، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- شرح المفصل للزمخشري، ابن يعيش، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.
- الصناعتين، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، بيروت، المكتبة العصرية، ، ١٤١٩ هـ.
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، الناجح، عز الدين، ط١، تونس، مكتبة علاء الدين، ٢٠١١م.
- فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي، ط١، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤٤١هـ.

- في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، صولة، عبد الله، ط١، تونس، الشركة التونسية للنشر، ٢٠١١م.
- كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، د. ط، د. م، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبدالرحمن، طه، ط١، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م.
- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ضياء الدين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ.
- معجم مقاييس اللغة، القزويني، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، د. م، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- معجم الفروق اللغوية، العسكري، أبو هلال، تحقيق: بيت الله بيات و مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، د.م، د.ت.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيه، عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.
- مجاز القرآن، التيمي البصري، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فواد سزگين، د. ط، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨١ هـ.
- محاسن التأويل، القاسمي، محمد جمال الدين، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.
- مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، الولي، محمد، مجلة عالم الفكر، م٤٠، ع ٢، ٢٠١١م.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن أو تفسير البغوي، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
- معاني القرآن، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، تحقيق: حمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة ، د. ت.
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، فخر الدين، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
- مفتاح العلوم، السكاكي، يوسف بن أبي بكر، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دمشق- بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢ هـ.
- مقاربات نظرية في مظاهر الربط الحجاجي لبنية الاقتضاء، كروم، أحمد، مجلة عالم الفكر، م٣٢، ع ٣، ٢٠٠٤م.
- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن، ابن النقيب، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان، والمطبوع خطأ بعنوان: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، لابن القيم الجوزية، كشف عنها وعن حواشيها، د. زكريا سعيد علي، د. ط، القاهرة ، مكتبة الخانجي، د. ت.
- من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، حمداوي، جميل، ط١، المغرب، أفريقيا الشرق، ٢٠١٤م.
- من بلاغة القرآن، بدوي، أحمد، ط٦، د.م، دار نهضة مصر، ٢٠١١م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني، حازم، تحقيق وتقديم: محمد الحبيب بن الخوجه، د. ط، بيروت، دار الغريب الإسلامي، ١٩٨٦م.
- مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم، حمو، الهادي، د. ط، د. م، مطابع النهضة، ١٩٩١م.

- النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، العبد، محمد السيد، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع ٦، ٢٠٠٢م.
- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، طروس، محمد، ط١، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، بنو هاشم، الحسين، ط١، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٤م.

M. Meyer، Logique، Langage et argumentation، op. cit . نقلا عن الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبدالله صولة.

Ch. Perelman et L. Olbrechts- Tyteca, Traite de largumentation, op. cit., chap: Largument pragmatique, pp357. نقلًا عن: الحِجَاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة.

AlmSAdr wAlmrAjç

- AlqrĀn Alkrym.
- Ăblys، AlçqAd، çbAs mHmwd ، d. T، AlqAhrħ، mŵssħ hndAwy lltçlym wAlθqAfħ، 2012m.
- ĂrŝAd Alçql Alslym ĂlŶ mzAyA AlktAb Alkrym، Âbw Alsçwd، AlçmAdy mHmd bn mHmd bn mSTfŶ، d. T، byrwt، dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby، d. t.
- ÂsAs AlblAγħ، Alzmxŝry، Âbw AlqAsm mHmwd bn çmrw bn ÂHmd، tHqyq: mHmd bAsl çywn Alswd، T1، byrwt- lbnAn،، dAr Alktb Alçlmyħ،1419 h- - 1998m.
- ÂsbAb nzwl AlqrĀn، AlwAHdy، Âbw AlHsn çly bn ÂHmd، tHqyq: kmAl bsywny zγlwl، T1، byrwt، dAr Alktb Alçlmyħ 1411h.
- ÂsrAr AlblAγħ، AljrjAny، Âbw bkr çbd AlqAhr bn çbd AlrHmn، qrÂh wçlq çlyh: mHmwd mHmd ŝAkr، d. T، AlqAhrħ- bjdħ، mTbçħ Almdny- dAr Almdny، ، d. t.
- ĂçrAb AlqrĀn wbyAnh، drwyŝ، mHyy Aldyn bn ÂHmd، T4، swryA، lbnAn، dAr AlĂrŝAd llŝŵwn AljAmçyħ، dAr AlymAmħ، dAr Abn kθyr، 1415h-.
- ĂçlAm Almwqçyn çn rb AlçAlmyn، Abn Alqym Aljwzyħ، mHmd bn Âby bkr، tHqyq: çbd AlslAm ĂbrAhym، T1، byrwt، dAr Alktb Alçlmyħ، 1411h.
- AlĂTnAb fy AlqrĀn Alkrym drAsħ blAγyħ، çTyħ، mxtAr، T1، d.m، dAr AljAmçħ Aljdydħ، 2008m.
- ÂhdAf kl swrħ wmqASdhA fy AlqrĀn Alkrym، ŝHAth، çbd Allh mHmwd، d. T، mSr، AlhyŶħ AlçAmħ llktAb، 1976m.
- Âhm nĎryAt AlHjAj fy AltqAlyd Alγrbyħ mn ÂrsTw ĂlŶ Alywm، mŵlf jmAçy، ĂŝrAf: HmAdy Smwd، d. T، twns، mnŝwrAt klyħ AlĀdAb bmnwbħ، d.t.
- bdAŶç AlfwAŶd، Abn qym Aljwzyħ، mHmd bn Âby bkr، d. T، byrwt- lbnAn، dAr AlktAb Alçrby، d.t.

- AlbrhAn fy çlwm AlqrĀn‹ Alzrkŝy‹ bdr Aldyn mHmd‹ tHqyq: mHmd Âbw AlfDl ĂbrAhym‹ T1‹ d. m‹ dAr ĂHyA' Alktb Alçrbyħ çysŶ AlbAby AlHlby‹ 1376h- 1957m.
- blAγħ AlĂqnAç drAsħ nĎryħ wtTbyqyħ‹ qAdA‹ çbd AlçAly‹ T1‹ çmAn‹ dAr knwz Almçrfħ‹ 1437h- 2016m.
- blAγħ AlĂqnAç fy AlmnAĎrħ‹ çAdl‹ çbd AllTyf‹ T1‹ AlrbAT‹ dAr AlÂmAn‹ 2013m.
- blAγħ AlxTAb AlĂqnAçy nHw tSwr nsqy lblAγħ AlxTAb‹ Almwdn‹ Hsn‹ T1‹ çmAn‹ dAr knwz Almçrfħ‹ 1435h- 2014m.
- AlbyAn wAltbyyn‹ AljAHĎ‹ çmrw bn bHr‹ d. T‹ byrwt‹ dAr AlhlAl‹ 1423h.
- tÂwyl mŝkl AlqrĀn‹ Abn qtybħ‹ Âbw mHmd çbd Allh bn mslm‹ tHqyq: ĂbrAhym ŝms Aldyn‹ d. T‹ byrwt – lbnAn‹ dAr Alktb Alçlmyħ‹ ‹ d. t.
- tHryr AltHbyr fy SnAçħ Alŝçr wAlnθr wbyAn ĂçjAz AlqrĀn‹ Abn Âby AlÂSbç‹ çbd AlçĎym bn AlwAHd bn ĎAfr‹ tHqyq: Hfny mHmd ŝrf‹ d. T‹ Aljmhwryħ Alçrbyħ AlmtHdħ‹ Almjls AlÂçlŶ llŝŵwn AlĂslAmyħ - ljnħ ĂHyA' AltrAθ AlĂslAmy‹ d. t.
- AltHryr wAltnwyr‹ Abn çAŝwr ‹ mHmd AlTAhr bn mHmd‹ d. T‹ twns‹ AldAr Altwnsyħ llnŝr‹ 1984m.
- Altfsyr AlqrĀny llqrĀn‹ AlxTyb‹ çbd Alkrym ywns‹ d. T‹ AlqAhrħ‹ dAr Alfkr Alçrby‹ d.t.
- Aljdwl fy ĂçrAb AlqrĀn Alkrym‹ SAfy‹ mHmwd bn çbd AlrHym ‹ T4‹ dmŝq‹ byrwt‹ dAr Alrŝyd‹ mŵssħ AlĂymAn‹ 1418h.
- AlHjAj fy AlblAγħ AlmçASrħ bHθ fy blAγħ Alnqd AlmçASr‹ AlÂmyn‹ mHmd sAlm Âmyn‹ T1‹ byrwt‹ dAr AlktAb Aljdyd AlmtHdħ‹ 2008m.
- AlHjAj fy AlqrĀn mn xlAl Âhm xSAŶSh AlÂslwbyħ‹ Swlħ‹ çbdAllh‹ T2‹ byrwt‹ dAr AlfArAby‹ 2007m.
- AlHjAj wAlAstdlAl AlHjAjy drAsAt fy AlblAγħ Aljdydħ‹ mjmwçħ mn AlbAHθyn ĂŝrAf: HAfĎ ĂsmAçyly çlwy‹ T1‹ AlÂrdn‹ dAr wrd AlÂrdnyħ‹ 2011m.
- HjAjyħ AlÂslwb fy AlxTAbħ AlsyAsyħ ldŶ AlĂmAm çly -rDy Allh çnh-‹ kmAl‹ AlzmAny‹ T1‹ Ărbd‹ çAlm Alktb AlHdyθ‹ 2016m.
- AlxTAb AlHjAjy fy ktAbAt mHmd çbd Allh drAz‹ AlçSymy‹ ðyb bn mqçd‹ T1‹ TnTA‹ dAr AlnAbγħ llnŝr wAltwzyç‹ 1441h.
- AlxTAbħ‹ TAlys‹ ÂrsTw ‹ Hqqh wçlq çlyh: çbdAlrHmn bdwy‹ d. T‹ Alkwyt‹ byrwt‹ wkAlħ AlmTbwçAt‹ dAr Alqlm‹ 1979.
- dlAŶl AlĂçjAz fy çlm AlmçAny‹ AljrjAny‹ çbd AlqAhr‹ tHqyq: mHmwd mHmd ŝAkr Âbw fhr‹ T3‹ AlqAhrħ‹ jdħ‹ mTbçħ Almdny‹ dAr Almdny‹ 1413h- 1992m.
- rwH AlmçAny fy tfsyr AlqrĀn AlçĎym wAlsbç AlmθAny‹ AlÂlwsy‹ ŝhAb Aldyn‹ tHqyq: çly çbd AlbAry çTyħ‹ T1‹ byrwt‹ dAr Alktb Alçlmyħ‹ 1415h-.
- ŝrH AlmfSl llzmxŝry‹ Abn yçyŝ‹ Âbw AlbqA'‹ mwfq Aldyn AlÂsdy AlmwSly‹ qdm lh: Aldktwr Ămyl bdyç yçqwb‹ T1‹ byrwt‹ dAr Alktb Alçlmyħ‹ 1422 h- - 2001m.

- AlSnAçtyn، Alçskry، Âbw hlAl AlHsn bn çbd Allh ، tHqyq: çly mHmd AlbjAwy wmHmd Âbw AlfDl ĂbrAhym، d. T، byrwt، Almktbħ AlçSryħ، ، 1419 h-.
- AlçwAml AlHjAjyħ fy Allγħ Alçrbyħ، AlnAjH، çz Aldyn، T1، twns، mktbħ çlA' Aldyn، 2011m.
- ftH Alqdyr، AlŝwkAny، mHmd bn çly، T1، dmŝq، byrwt، dAr Abn kθyr، dAr Alklm AlTyb، 1441h.
- fy nĎryħ AlHjAj drAsAt wtTbyqAt، Swlħ، çbd Allh، T1، twns، Alŝrkħ Altwnsyħ llnŝr، 2011m.
- ktAb Alçyn، AlfrAhydy، Alxlyl bn ÂHmd، tHqyq: d mhdy Almxzwmy، d ĂbrAhym AlsAmrAŶy، d. T، d. m، dAr wmktbħ AlhlAl، d.t.
- AlkŝAf çn HqAŶq γwAmD Altnzyl، Alzmxŝry، Âbw AlqAsm mHmwd bn çmrw bn ÂHmd، T3، byrwt، dAr AlktAb Alçrby، 1407h.
- AllsAn wAlmyzAn Âw Altkwθr Alçqly، çbdAlrHmn، Th، T1، AldAr AlbyDA'، Almrkz AlθqAfy Alçrby، 1998m.
- lsAn Alçrb، Abn mnĎwr، Âbw AlfDl jmAl Aldyn، T3، byrwt، dAr SAdr، 1414h-.
- Almθl AlsAŶr fy Âdb AlkAtb wAlŝAçr، Abn AlÂθyr، DyA' Aldyn، tHqyq: mHmd mHyy Aldyn çbd AlHmyd، d. T، byrwt، Almktbħ AlçSryħ llTbAçħ wAlnŝr، 1420h-.
- mçjm mqAyys Allγħ، Alqzwyny، ÂHmd bn fArs، tHqyq: çbd AlslAm mHmd hArwn، d. T، d. m، dAr Alfkr، 1399h1979 - -m.
- mçjm Alfrwq Allγwyħ، Alçskry، Âbw hlAl، tHqyq: byt Allh byAt w mŵssħ Alnŝr AlĂslAmy، T1، d.m، d.t.
- AlmHrr Alwjyz fy tfsyr AlktAb Alçzyz، Abn çTyh، çbd AlHq bn γAlb، tHqyq: çbd AlslAm çbd AlŝAfy mHmd، T1، byrwt، dAr Alktb Alçlmyħ، 1422h.
- mjAz AlqrĀn، Altymy AlbSry، Âbw çbydħ mçmr bn AlmθnŶ، tHqyq: mHmd fwAd szگyn، d. T، AlqAhrħ، mktbħ AlxAnjy، 1381 h.
- mHAsn AltÂwyl، AlqAsmy، mHmd jmAl Aldyn، tHqyq: mHmd bAsl çywn Alswd، T1، byrwt، dAr Alktb Alçlmyħ، 1418h.
- mdxl ĂlŶ AlHjAj ÂflATwn wÂrsTw wŝAym byrlmAn، Alwly، mHmd، mjlħ çAlm Alfkr، m40، ç 2، 2011m.
- mçAlm Altnzyl fy tfsyr AlqrĀn Âw tfsyr Albγwy، Albγwy، Âbw mHmd AlHsyn bn msçwd ، tHqyq : çbd AlrzAq Almhdy، T1، byrwt، dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby، 1420h.
- mçAny AlqrĀn، AlfrA'، Âbw zkryA yHyŶ bn zyAd، tHqyq: Hmd ywsf AlnjAty / mHmd çly AlnjAr / çbd AlftAH ĂsmAçyl Alŝlby، T1، mSr، dAr AlmSryħ lltÂlyf wAltrjmħ ، d. t.
- mfAtyH Alγyb Âw Altfsyr Alkbyr، AlrAzy، fxr Aldyn، T3، byrwt، dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby، 1420h-.
- mftAH Alçlwm، AlskAky، ywsf bn Âby bkr، DbTh wktb hwAmŝh wçlq çlyh: nçym zrzwr، T2، byrwt، dAr Alktb Alçlmyħ، 1407 h1987 - -m.
- AlmfrdAt fy γryb AlqrĀn، AlrAγb AlÂSfhAny، Âbw AlqAsm AlHsyn bn mHmd، tHqyq: SfwAn çdnAn AldAwdy، T1، dmŝq- byrwt، dAr Alqlm، AldAr AlŝAmyħ، 1412 h-.

- mqArbAt nĎryħ fy mĎAhr AlrbT AlHjAjy lbnyħ AlAqtDA'، krwm، ÂHmd، mjlħ çAlm Alfkr، m32، ç 3، 2004m.
- mqdmħ tfsyr Abn Alnqyb fy çlm AlbyAn wAlmçAny wAlbdyç wĂçjAz AlqrĀn، Abn Alnqyb، Âbw çbd Allh jmAl Aldyn mHmd bn slymAn، wAlmTbwç xTÂ bçnwAn: AlfwAŶd Almŝwq ĂlŶ çlwm AlqrĀn wçlm AlbyAn، lAbn Alqym Aljwzyħ، kŝf çnhA wçn HwAŝyhA، d. zkryA sçyd çly، d. T، AlqAhrħ ، mktbħ AlxAnjy، d. t.
- mn AlHjAj ĂlŶ AlblAγħ Aljdydħ، HmdAwy، jmyl، T1، Almγrb، ÂfryqyA Alŝrq، 2014m.
- mn blAγħ AlqrĀn، bdwy، ÂHmd، T6، d.m، dAr nhDħ mSr، 2011m.
- mnhAj AlblγA' wsrAj AlÂdbA'، AlqrTAjny، HAzm، tHqyq wtqdym: mHmd AlHbyb bn Alxwjh، d. T، byrwt، dAr Alγryb AlĂslAmy، 1986m.
- mwAqf AlHjAj wAljdl fy AlqrĀn Alkrym، Hmw، AlhAdy، d. T، d. m، mTAbç AlnhDħ، 1991m.
- AlnS AlHjAjy Alçrby drAsħ fy wsAŶl AlĂqnAç، Alçbd، mHmd Alsyd، mjlħ fSwl، AlhyŶħ AlmSryħ AlçAmħ llktAb، ç 6، 2002m.
- AlnĎryħ AlHjAjyħ mn xlAl AldrAsAt AlblAγyħ wAlmnTqyħ wAllsAnyħ، Trws، mHmd، T1، AldAr AlbyDA'، dAr AlθqAfħ، 1426h- 2005m.
- nĎryħ AlHjAj çnd ŝAyym byrlmAn، bnw hAŝm، AlHsyn، T1، byrwt، dAr AlktAb Aljdyd AlmtHdħ، 2014m.

M. Meyer، Logique، Langage et argumentation، op. cit. nqlA çn AlHjAj fy AlqrĀn mn xlAl Âhm xSAŶSh AlÂslwbyħ، d. çbdAllh Swlħ.

Ch. Perelman et L. Olbrechts- Tyteca, Traite de largumentation, op. cit., chap: Largument pragmatique, pp357. nqlA çn: AlHjAj fy AlqrĀn mn xlAl Âhm xSAŶSh AlÂslwbyħ، d. çbd Allh Swlħ.